بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الحمد لله المبدي المعيد ، فالق الحب والنوى ،مخرج الحي من الميت ، و مخرج الميت من الحي ،و محيي الارض بعد موتها واليه المصير.

والصلاة والسلام على نبيه الامين ، الذي قعد القواعد وأصل الأصول ، محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء والمرسلين ، الداعي الى الله باذنه وسراجا منيرا ، و على آله واصحابه ومن سار على نهجه الى يوم الدين .

وبعد ، فان علم أصول الفقه من أجل العلوم وأرفعها قدرا ، ولست في حاجة الى بيان مكانة هذا العلم بين علوم الشريعة ، فهو أشهر من أن يشاد به في كلمات ، وقد عرف أسلافنا قدره ،وأدركوا أهميته و خطره منذ فجر الاسلام ، فأقبلوا على تدارسه و تدريسه ،وتوضيح معالمه و تقعيد قواعده .

وكان أول من قعد قواعده ووضع أسسه الاولى الامام الشافعي رحمه الله ورضي عنه . قال الفخر الرازي في مناقبه (١) : " كانوا قبل الامام الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترضون ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع اليه في معرفة دلائل الشريعة ،و في كيفية معارضاتها ، وترجيحاتها . فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه ، ووضع للخلق قانونا كليا يرجع اليه في معرفة مراتب أدلة الشرع. غثبت أن نسبة الشافعي الى علم الشرع كنسبة ارسطاطاليس الى علم العقل ".

وقال الامام أحمد بن حنبل : ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي . وقال ابو عبيد القاسم بن سلام : ما رأيت رجلا قط أكمل من الشافعي (٢) .

ولما تحددت معالم هذا الفن و عرف العلماء اهميته بين علوم الشريعة ، اقبلوا على دراسته وتحصيله وما هي الا فترة حتى اتضحت معالمه ،وألفت فيه المؤلفات وأصبح علما مستقلا تشد اليه رحال العلماء ،وتضرب اكباد الابل في سبيل الوصول الى حملته ، واخذه عنهم.

---

(١) ص ٥٧.

(٢) انظر وفيات الاعيان ٤/١٦٣.

وقد استقل كل مذهب من المذاهب الفقهية بأصول ،وضعها اصحابه لتكون بمثابة القواعد الكلية للمذهب ،تندرج تحتها الفروع والجزئيات . وتعرف بها مراتب أدلة الشرع ،وكيفية التعامل معها والاستنباط منها .

سار على ذلك علماء المذاهب الثلاثة - الشافعية ،والمالكية ،والحنابلة .

أما علماء الحنفية ،فقد سلكوا طريقا آخرى ،لتأصيل أصول الفقه حيث استنبطوا الأصول من الفروع التي تكلم فيها أئمتهم ،فبنوا الأصول على الفروع ولذلك جاءت أصولهم مختلفة عن أصول اصحاب المذاهب الأخرى في الكيفية والمضمون والترتيب . فصار هنالك مدرستان كبيرتان لأصول الفقه : مدرسة الشافعية ،و مدرسة الحنفية .

ولقد جرت محاولات عديدة من علماء المدرستين في مختلف العصور للجمع بين الطريقتين ،و تقريب الوجهتين ،وألف في ذلك المؤلفات ،و منها :

١ - التسهيلات الالهية في اصول الحنفية والشافعية . للشيخ احمد بن محمد درويش . من علماء القرن الرابع الهجري .

٢ - بديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي والاحكام لمظفر الدين بن الساعاتي . من علماء القرن السابع الهجري .

٣ - كتاب التحرير في اصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية . لابن همام الدين الحنفي . من علماء القرن التاسع .

٤ - وشرحه : تيسير التحرير للعلامة محمد امين المعروف بأمير بادشاه الحنفي .

٥ - وفصول البدايع في اصول الشرائع . لشمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الفناري . المتوفي سنة ٨٣٤هـ وغير ذلك .

ولما حصلت على درجة التخصص الأولى ،وكان موضوعها في الفقه المقارن .عزمت على أن يكون موضوع الدكتوراه في فن آخر ،لتزداد خبرتي ،ويتسع اطلاعي . وكان ميلي الى اصول الفقه قديم ، فعقدت العزم على ان يكون موضوع رسالة الدكتوراة في اصول الفقه .

وأخذت أبحث عن موضوع يلائم قدر تلك الرسالة ،و هذه فترة عصيبة في حياة الباحث ،تلك فترة الاختيار يعرفها من عايشها و عاش أدوارها ،فكم من موضوع بذلت فيه الوقت الطويل ،والجهد الكبير وفي النهاية يتضح أنه لا يصلح ، أو قد بحث ، أو طويل لا يمكن الالمام بجوانبه في المدة المعده للرسالة ،أو قصير لا يستحق .

وقد عرضت لي فكرة تحقيق مخطوط في أصول الفقه ، فاستهوتني كثيرا ، لأنني سأضرب عصفورين بحجر ، فأتعلم طريقة تحقيق الكتب القديمة من ناحية - وهذا هدف انعم به من هدف - وأطلع على معظم ابواب أصول الفقه من ناحية أخرى . بالاضافة الى ما تجر اليه عملية التحقيق من معرفة قراءة المخطوطات القديمة والتمرس على أنواع الخطوط - وهذا فن قائم بذاته - واكتساب معرفة توثيق النصوص وتحرير الاقوال وتخريج الاحاديث والآثار والاطلاع على تراجم العلماء في مختلف العصور إلى غير ذلك . وكل واحدة من هؤلاء تستحق ان تكون هدفا مقصودا بحد ذاته . فعزمت على السير في هذا الطريق متوكلا عليه تعالى . ومن توفيق الله لي أن عثرت - بعد جهد - على مخطوط صغير الحجم كبير النفع، يجمع بين طريقتي الحنفية والشافعية ، بل بين مدرسة الحنفية ، ومدرسة الجمهور ، ألا وهو كتاب بديع النظام ، الجامع بين كتاب فخر الاسلام البزدوي الحنفي ، وكتاب الاحكام للسيف الامدى الشافعي . للعالم العلامة مظفر الدين ابي العباس احمد بن علي بن تغلب ابن الساعاتي الحنفي .

فأخذت إحدى نسخ هذا الكتاب وقرأتها من ألفها الى يائها ، وقد اعجبت به كثيرا . ولا أخفي انني شعرت بصعوبته لأن الكتاب مختصر مضغوط ويجمع بين طريقتين مختلفتين من أساسهما ، والمؤلف رحمه الله حنفي ، ويميل كثيرا الى مذهب أئمته ، بل قد اعتمده وجعله أصل الباب كما ذكر في مقدمة الكتاب ، ولذلك حشد في مختصره هذا أمثلة كثيرة جدا من فروع الحنفية ، وكان يتبع طريقة الجدل في النقاش ويميل الى الاستدلالات العقلية والمنطقية وقد عممها حتى شملت جميع أبواب كتابه .

ولكنني أقدمت عليه - بعد الاستخاره - مستعينا بالله ، ومتوكلا عليه . وبعد العزم على اختياره فوجئت بأنه مسجل في كلية الشريعة بجامعة الازهر كموضوع لنيل درجة الدكتوراه ، فأردت التخلي عنه ، والبحث عن موضوع آخر ، ولكن أساتذتي الكرام ، وعلى رأسهم الدكتور محمود عبد الدايم متعه الله بالصحة أشاروا علي بالمضي فيه ، فلكل شيخ طريقته ، والفائدة المرجوه ستتحقق ان شاء الله ، ولا يمنع تسجيله في جامعة من تحقيقه في جامعة في بلد آخر . وقد جرت بذلك العادة في كثير من جامعات العالم . وأقنعوني حتى عدلت عن رأيي في تركه . فوضعت له خطه ، وذكرت فيها أنه مسجل

من قبلي في جامعة الازهر ، ولما أقرت ، شمرت عن ساعد الجد ، وأخذت أبحث عن نسخ ذلك المخطوط ، وقد بهرتني كثرتها ،وتوزعها في بلاد الاسلام وغيرها ، فاضطررت الى القيام برحلات لتجميع اكبر عدد منها ، فسافرت الى مصر و تركيا وقد استطعت ان أحصل على معظم نسخ هذا المخطوط ، حيث بلغ عدد ما اجتمع لدي (١٩) نسخة معظمها مصور على ورق ومكبر ،ومن بين هذه النسخ : نسخة المصنف بخطه ،و نسخة أخته المنقولة عن نسخته والمقابلة عليها من أولها الى نهايتها كما يتضح ذلك من المقابلات الموجودة في الهامش بعد كل عدد من الصفحات. ونسخة أخرى منقولة عن نسخة أخت المصنف ،و نسخة من شستربتي ،وأخرى من جامعة برنستن وهما من النسخ النادرة.

وقد حمدت الله على اجتماع هذه النسخ لدي وتأكدت من اهمية هذا المخطوط لكثرة من اهتم به في مختلف العصور الماضية .

وبعد القراءة والتمحيص والمقارنة اخترت من بين هذه النسخ اربع ، ليتم التحقيق عليها ، منها :

نسخة المصنف ، وقد اعتبرتها الأم لما عداها ،واكتفيت بتسميتها "الأصل".

ونسخة أخت المصنف ،وسميتها "أ".

ونسخة جامعةبرنستن ،وسميتها "ب".

ونسخة ولي الدين جار الله ،وسميتها "جـ".

وقد قسمت العمل في هذا الكتاب إلى قسمين :

قسم الدراسة : و يشتمل على بابين :

الباب الاول : في التعريف بالمؤلف ،مولده - نسبه - نشأته و تعليمه - شيوخه - تلاميذه - وفاته . وقد جعلت ذلك في فصلية ، الفصل الاول : في التعرف على ابن الساعاتي.

والثاني : في معرفة شيوخه وتلاميذه وآثاره العلمية .

يتقدم هذين الفصلين تمهيد عن عصره الذي عاش فيه ،و مدى تأثيره وتأثره به .

والباب الثاني : في بديع النظام. ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الاول : في تحقيق اسم "البديع" وتوثيق نسبته الى المصنف.

والثاني : في اسلوب ابن الساعاتي ومدى تأثره في البديع .

والفصل الثالث : في بديع النظام ومكانته العلمية و يشتمل على :

١ - وصف شامل لهذا المصنف .

٢ - عدد نسخه واماكن وجودها مع وصف شامل لكل نسخة .

٣ - مكانة البديع في الاوساط العلمية .

و قسم التحقيق : ويتلخص عملي فيه في النقاط التالية :

١ - استنساخ نسخة الاصل بخط يدي ،مع ابراز ما فيها من العناوين الرئيسية والجانبية . ثم قابلتها بكل من نسخة " أ و ب و جـ " كل واحدة على حده . وبينت ما وجدت من فروق في الحاشية .

٢ - التزمت باثبات ما ورد في نسخة المصنف في صلب الكتاب كما ورد ،بدون زيادة أو نقصان أو تغيير أو تبديل ،ونبهت في الحاشية على ما رأيته خطأً . وهو قليل جدا ولله الحمد .
وذلك محافظة على نص المؤلف - الذى يعطي صورة واضحة عن مقدرته العلمية وآرائه الاصولية - وحرصا على امانة الأداء .
هذا فيما عدا الايات القرآنية ،فانه لا بد من تصحيحها اذا وجد فيها خطأ .

٣ - اعتاد المصنف ان يذكر كلمة من الاية او جملة في موضع الاستشهاد ، ويدع الباقي . وقد التزمت ايراد الاية كاملة في الحاشية ، مع بيان رقمها وسورتها . وهذا فيه زيادة كلفة ومشقة علي لطول بعض الايات الكريمة وتكررها . ولكني تحملت ذلك في سبيل بيان وجه الاستدلال ، لأن وجه الاستدلال لا يتضح إلا بذكر السباق واللحاق ، سيما اذا اقتصر على ذكر كلمة من الاية أو كلمتين .
وقد يورد المصنف أية تتعدد اماكن وجودها في أي الذكر الحكيم ،فاضطر الى تخريجها من عدة سور ، لا وقر على الباحث بعض الجهد .

٤ - إرجاع الاحاديث الشريفة الى مصادرها من كتب الصحاح والمسانيد وغيرها . مع تحديد اماكن وجودها بذكر الجزء والصفحة . ولا أكتفي بمصدر واحد إلا في النادر . مع الاشارة الى درجة الحديث وبيان أقوال علماء الفن فيه ما استطعت الى ذلك سبيلا .

٥ - ارجاع الآثار والاقوال المأثورة الى مصادرها مع توثيق نسبتها وبيان درجتها ما أمكن .

٦ - الترجمة للاعلام الذين يوردهم المصنف ،وذلك بذكر نبذة عن العلم تتضمن اسمه ونسبه وكنيته ومولده ووفاته ومكانته واثاره العلمية ان وجدت. يلي ذلك مصادر ترجمته.

٧ - تحقيق نسبة المذاهب والاقوال التي ينسبها المصنف الى اصحابها ، وذلك بالرجوع الى مصادر المذهب المعتمدة - ان كانت النسبة الى مذهب من المذاهب الفقهية - وبالرجوع الى كتب الشخص ، أو أقواله المبثوثة في كتب اصحابه ان كانت النسبة فردية . ثم ان كان الأمر كما ذكر المصنف ، اكتفيت بذكر الجزء والصفحة، وان كان الأمر على خلاف ما ذكر ، صححت النسبة وذكرت ما هو الصواب في الحاشية.

٨ - أحيانا أذكر المذاهب التي أغفلها المصنف عند كلامه على مسألة خلافية ، تتميما للفائدة ثم اتبع ذلك بذكر مصادر كل مذهب ،موضحا الجزء والصفحة.

٩ - أشرح ما أراه غامضا واعرف ما يحتاج الى تعريف ، لغة واصطلاحا ، مستعينا بكتب وقواميس اللغة ،والكتب الاصولية التي تهتم بالتعريفات. وذلك في الحاشية .

١٠- تخريج الشواهد الشعرية التي يوردها المصنف من الدواوين والكتب الاصلية التي ورد فيها ذلك.

١١- التعريف بالطوائف والفرق التي يتعرض لها المصنف مع ذكر مذاهبهم العقدية المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة وبيان زيفها أو ما عليها من المآخذ بالحاشية.

١٢- التزمت بوضع مراجع لكل مسألة أو بحث يتعرض له المصنف في هذا الكتاب تشتمل على تفصيل تلك القضية او ذلك البحث بشكل اوسع مع ذكر الجزء والصفحة ، تسهيلا على الباحث الذى يرغب في التوسع في الموضوع.

١٣- انفردت نسخة "ب" بذكر عبارات الترحم والترضي والتبجيل ، مثل : رضي الله عنه، رحمه الله " تعالى " بعد لفضل الجلاله . وقد رأيت إثبات ذلك ضمن الأصل، لأنه لا يخل بعبارة المصنف. ولا يغير مقصوده. ومثل هذه العبارات ينبغي ان تقال عند ذكر أهل الفضل، وهذا أقل ما نكافئهم به ،بأن ندعو لهم و نترحم عليهم.

١٤- وضع فهارس علمية تفصيلية لكل ما ورد في هذا الكتاب ، فهـــرس للايات الكريمة واخر للاحاديث الشريفة يليه فهرس الاثار و فهرس للاعلام . . .

*

هذا ويعلم الله تعالى ما بذلت من جهد ووقت ، وما عانيت من مشقة وارهاق نتيجة العمل الدائب ، والجهد المتواصل في سبيل ان يصل هذا العمل الـى ما يقرب من الكمال وذلك لأهمية هذا الكتاب ، ولأن من طبعي الاستقصاء فيما أعمله ،امتثالا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "ان الله يحب من احدكم اذا عمل عملا ان يتقنه "(١) .

ولست أزكي نفسي ولا أدعي لعملي الكمال ،فان ابن آدم خطاء والكمال لله وحده . وحسبي انني بذلت جهدي وهو جهد مقل ، وأسأل الله ان لا يكلني على نفسي ،وأن يتجاوز عني فيما أخطأت ،وأن يجعل عملي خالصا لوجهـــه الكريم ،هو نعم المولى و نعم النصير ولا حول ولا قوة الا به . وصل اللهم علـى نبينا محمد الأمين و على آله وصحبه اجمعين ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

---

(١) انظر كشف الخفاء ١ / ٢٨٥ .

القسم الأول : الدراسة .

وموضوعها : ابن الساعاتي ،ومصنفه "بديع النظام" وقد جعلت ذلك في بابين :

الباب الأول :

في التعرف على ابن الساعاتي :

نسبه - نشأته - شيوخه - تلاميذه ،مكانته العلمية - وتاريخ مولده ووفاته .

ويكون ذلك في تمهيد وفصلين .

التمهيد : في عصره الذي عاش فيه ،ومدى تأثيره فيه وتأثره به .

والفصل الأول : في التعريف بابن الساعاتي منذ نشأته حتى وفاته .

والفصل الثاني : في شيوخه ،وتلاميذه وآثاره العلمية .

والباب الثاني :

في بديع النظام .

ويأتي تفصيل محتوياته في موضعه .

*